تسبيحات الروح

في أينِ العبورِ إلى داركَ، يتباهى الكيف ويشغله التحوّل في الأحوال، هي الأوقات متى شاءت تلم البوح وترفعه، وهي الأصوات متى صاحت تلم الحال وتشرحه، من أين عبرت؟ وكيف نطقت، وصمتي أقوى من نطقي؟ تسعفني لغتي أم تشقيني؟ يا روح القلب هات المدد الأقوى من كل سلافة روح ناطقة، متى أُبصرَ دربي ببصيرة قلبي؟ وأعرف أين أكون؟ ومتى تنتشلني من هذا القاع اليابس، تخضوضر ذاتي كأن كياني شجرة، لا تعرف ظمأ الصحراء، ولا كان الماء سراباً، بل كان الماء الماء، إذا كنت العاشق تبتل جذوع الشجرة تهتز الأغصان على وقع الريح الكونية....

❧❧❧

معرفة الأشياء وجد الأشياء، والوجد وجود. وإذا قلت: عرفت... قلت: عشقت...، وإذا قلت: عشقت... وُجِدتُ... هكذا نظرت إلى الوجود كعلمٍ تصحُ فيه الأسفار، ومن يكدح في السفر العقلي، يتحقق من الأيس في كيان ذاته القلقة، كأن الريح تحت ردائه، وهو يلبس أو يخلع، لا تبقيه الريح على حال الجوهر في عاصفة الحركة، الحركة في فضاء عناية الحق، مرام الخلق المشغولين، في انقلاب الحال إلى حالٍ، وكل مقامات العرفاء تبدأ من أنواء الذات، وتترقى الذات على سلّم وجدها، متى يتحقق لها الوجود بكل تقسيماته؟ فلا تغرق في وحدته بين الواحد، والكثير، ولا بين العابث، والفقير تختلف المؤتلفات وتأتلف المختلفات. والذات هي الذات ناطقة بألف لسانٍ مكرر...

❧❧❧

تقول النجمةُ للنجمة: في فضاء الأنوار بنيتُ الدار. هل تأتي إليّ النجمات الساحرة الأخرى؟ وكيف يرى الإنسان الناظر إلى علو السماء أنوارنا المتباعدة قريبة؟ كأن فضاء النجوم فضاءٌ واحدة. هجرت في وحدتها معاني الكثرة. كأن السوي غائب عن مشاهدة الشهود، وأقول كأن السوى غائب عن إرادة المريد، وأنا المريد المتحدر من سلالة العشاق القدامى، كأن أصابع يدي المرفوعتين إليك، نجماتٍ ساحرةٍ، يتسع

دعاؤها في الأسحار، عالم من الأنوار البهيجة، يا نور الأنوار، يا مطلعاً على سرّي، غابت عني كل مشاهدةٍ تنظر إلى نحو سواك، فلا أين ولا كيف، ولا متى ينظرون...

❧❧❧

ملاعب الفضاء أجنحة القول والتسبيح بحمدك، يأخذ من القول أحسنه، ويرسمه لوحة وجدٍ أضاءت على مخيلتي التي ترقت بصلاة دائمة حتى تقرأ ما قرأت. الحروف مليئة بالصمت والنطق، الحروف نقاطٌ متلاحقة من هبّات القلب، ومن حبب المطر الإلهيّ النازل إلى الأرض، كأن بحر مدادٍ يكتب من فيضه قلمُ العشق، ويملأ ما ساقته خواطر الروح المربوطة بخيط الأرض وخيط السماء...

❧❧❧

هل يكتب العارف بحبر الأنبياء؟ أقول: كل حبر هو حبر الأنبياء، وقلم العارف ليس سوى أداة صماء. تحركها الريح المحمدية وتنضح بالطيب العلوي وتنشد إلى أعلى، حتى لا تبقى في طريق العروج إلى محلتك سوى ما تشاء كعاشقك العجول من نصيب الوصول...

❧❧❧

في تسبيحات الوجد والموجود تعرج الروح إلى كمالاتها. تشق طريق أسفارها برؤية الحق في تجليات تتظاهر في مظاهر الخلق، فلا يحمل في قلبه غير عشقٍ، لأن لا مكان لأحاسيس تفارق العشق أو تنوءُ بأثقاله، خارج قلق الروح، وأسكنها في رحاب الدعاء. تسبح على وجدها الأسماء، وتغرف من مداد اللوح حبرها، يكتب القلم الإلهي ما يشاء. فلا هي كتبت ولا هي نطقت، لكنها رفعت قامة روحها في الدعاء...

د. طراد حمادة